صورة أخرى ايجابية هنا ، هي صورة **طريق الكفاح المسلح لتحرير فلسطين** ، وقد رافق هذه الصورة دافع **خلق حياة جديدة** تستجيب مع الموضوعة الرئيسية وتؤكد التجاوز والانعطاف الى الامام . هذا التجاوز يظهر بشكل متطور كدافع لما تميزت به شخصية مريم : **تجاوز الحرمان والذاتية** ، الذي يتبع الشعور بالبؤس والخلاص منه بالممارسة لا بالقدرية .

وقد حققت مريم ذلك لحظة ان قتلت الخائن زكريا : العدو الثانوي وأحد اسباب الهزيمة السياسية والاجتماعية ، في الوقت الذي يقف أخوها في منتصف الصحراء ، منتصف الطريق الى فلسطين ، وجها لوجه مع الجندي الصهيوني ، العدو الاساسي ، من أجل القضاء عليه . (في منتصف الطريق ، ووجها لوجه مع العدو بانتظار الحركة التالية) هذا يفسر أولى خطوات الثورة .

ج ٢) عن الرجال والبنادق

وتأتي سنة ١٩٦٨ لتعطي عملا أدبيا جديدا ، ويعود الكفاح ضد الاحتلال الصهيوني قبل نكبة ١٩٤٨ ليشمل القسم الاول من الكتاب . أربعة فصول متسلسلة تحكي الماضي البطولي بكل ايجابياته . وهي اذ تتعرض لسلبيات هذا الماضي انما تسحب منها العبرة، لحاضر بدأ التنظيم الثوري يأخذ مداه . ولاول مرة تبدو صورة **البندقيـــة الفلسطينية** واضحة المعالم ، قوية ، وجميلة ، في قبضة المقاتل . أحدهما لا غنى له عن الآخر . أحدهما يستمد هويته وشخصيته من الآخر . كذلك فان أحدهما لا معنى له دون الآخر . ان كليهما يكتمل بالآخر ، وهكذا جاء ذاك الذوبان بين **صورة البنادق وصورة الرجال** الذين يحملون البنادق دفاعا عن فلسطين . وهناك ذوبان أيضا بين الماضي البطولي ، والحاضر البطولي بعد انطلاقة الثورة الفلسطينية ، فالقصة قصة الكفاح المسلح . لهذا أمكن لغسان كنفاني « تعصير » احداث ووقائع الماضي باعطائها طابع احداث ووقائع الحاضر . حقا انها تمثل مرحلة ماضية من النضال ، لكنها في ذات الوقت حافز لنضال المرحلة الحاضرة . من هنا يمكننا استنتاج دافع **استرداد الثقة** الذي أعطته موضوعة المنفى الذي ينعطف الى الامام . كذلك دافع **الاستمرارية** بعد اجتياز المرحلة الانتقالية ، لغاية التحرير . اذ لم يعد المنفى تلك الصحراء ذات الاهوال والصعاب ، وانما الذي يمكن اجتيازه ، مع الاستمرار في العبور ، طالما في القبضة بندقيـــة ، وللثورة هدف واضح يرمي المقاتل الى تحقيقه .

وهذا ما نجده في القسم الثاني من الكتاب ، المؤلف من اربع قصص قصيرة ، يعيد فيها الكاتب تطور الكفاح الاجتماعي والسياسي بمراحله التي سبق ان تعرضنا لها — في المنفى : المخيم حيث الضياع والبؤس(٦٣)، الشعور بالوعي(٦٤)، مواجهـــة الاحتلال الصهيوني(٦٥)، الايمان بالبندقية كناية عن الكفاح المسلح(٦٦). وتتحدد معـــالم هذا التطور بصورة أدق وأشمل في انتاجات الكاتب اللاحقة .

مع انتهاء هذه المرحلة ، يبدأ غسان كنفاني مرحلة الكاتب والمناضل الثوري . فبعد حرب الستة أيام ١٩٦٧ استقر فكره السياسي والايديولوجي ، اذ أصبح ماركسيا — لينينيا ، وقائدا من قادة الثورة الفلسطينية ، الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، الى جانب مهمات رئيس تحرير مجلـــة الهدف ، اللسان المركزي للجبهة .